الحذف في ضوء علم لغة النصّ

Ellipsis in the light of text linguistic

Ellipsis à la lumière de la linguistique textuelle

أ . محمد الأمين مصدق

جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)

manogoodman@gmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018-12-28	2019-01-27	2019-02-28

الملخّص:

في سبعينات القرن الماضي تأسّس فرع معرفي جديد في دوحة اللّسانيات، وجعل من النصّ مدار الدراسة وموضع البحث، ووجّه اهتمامه الرئيس صوب الأدوات والآليات التي تحقّق تماسكه وترابطه. ونحاول في هذا المقال التعرّف على الحذف الذي يعدّ أحد الأدوات النحويّة التي تسهم في اتّساق النصوص، من خلال الوقوف على تعريفه، وأقسامه، ووظيفته في تحقيق تماسك النص، ودور المتلقّي في استخراج المحذوفات وربط شبكة النصّ ببعضها بعض.

الكلمات المفتاحيّة: الحذف، علم لغة النصّ، التماسك النصّي.

Abstract :

In the Seventies of the last century a new knowledge branch was established in the Department of Linguistics, it made the text the field of the study and the subject of research. It focused its attention on the tools and mechanisms that achieve its cohesion .In this article we try to identify the Ellipsis, which is one of the grammatical tools that contribute to the consistency of texts, by standing on its concept, its sections, its role in achieving the cohesion of the text, and the role of the recipient in extracting the deleted items and link the text's network to each other.

Keywords : Ellipsis ; Text linguistics ; textual cohesion.

تمهيد:

اتّجهت اللّغات الإنسانيّة إلى الإيجاز والاختصار من خلال الحذف، نظرا لصعوبة ذكر كلّ التفاصيل المتضمّنة في الفعل الكلامي؛ لأنّه يتطلّب مساحة كبيرة من الزمان لكل من المخاطِب والمخاطَب، إضافة لما يحدثه التفصيل من الملل والحشو الزائد.(1)

وقد لقيت ظاهرة الحذف اهتماما كبيرا من لدن الباحثين قديما وحديثا، وهي ظاهرة لغوية تشترك فيها جميع اللّغات، ولكنّها أوضح وأكثر بروزا في اللّغة العربيّة؛ نظرا لما تتميّز به هذه اللّغة من

ميل إلى الإيجاز والاختصـار، حيث يعمد المتكلّمون إلى حذف وإسـقاط بعض العناصـر المتكرّرة في الكلام.[2]وفي خضـم الدّرس اللّسـاني النصّي اكتسـى الحذف حلّة جديدة، وغدا أحد أهمّ العناصـر النحويّة التي تسهم في تحقيق تماسك النصوص والربط بين أجزائها، ولم يغفل الباحثون النصيّون دور المتلقّي الذي يقوم بوظيفة ملأ الفراغات البنيوية داخل النص حتى يتحقّق له فهمه واسـتيعابه على أكمل وجه.

1-مفهوم الحذف لغة واصطلاحا:

أ-لغة:جاء في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة "حذف":«حَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا:قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ، وَالحَجَّامُ يَحْذِفُ الشَّعْرَ...وَأُذُنٌ حَذْفَاءُ: كَأَنَّهَا حُذِفَتْ أَيْ قُطِعَتْ. وَالحِذْفَةُ القِطْعَةُ مِنَ الثَّوْب، وَقَدْ احْتَذَفَهُ وَحَذَفَ رَأْسَهُ. وَفِي الصِّحَاحِ: حَذَفَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ حَذْفًا ضَرَبَهُ فَقَطَعَ مِنْهُ قِطْعَةً».[3]وجاء في معجم "العين" للخليل ما نصّه: «الحَذْفُ: قَطْفُ الشَّيْءِ مِنَ الطَّرَفِ كَمَا يُحْذَفُ طَرَفُ ذَنَبِ الشَّاة...وَالحَذْفُ: الرَّمْي عَنْ جَانِب والضَّرْب عَنْ جَانِب. وَتَقُول: حَذَفَنِي فُلَانٌ بِجَائِزَة أَيْ وَصَلَنِي. وَحَذَفْتُهُ بِالسَّيْفِ: عَلَى مَا فَسَّرْتُهُ مِنَ الضَّرْبِ عَنْ جَانِب».[4]

وجاء في المعجم الوسيط: «(حَذَفَ) الشَّيْءَ حَذْفًا: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ. يُقَالُ: حَذَفَ الحَجَّامُ الشَّعْرَ وَأَسْقَطَهُ. وَبِالعَصَا وَنَحْوِهَا: رَمَاهُ وَضَرَبَهُ بِهَا. وَيُقَال: حَذَفَهُ بِجَائِزَةٍ: أَعْطَاهُ إِيَّاهَا صِلَةً لَهُ».[5]

يلاحظ من خلال النظر في المعاجم العربيّة القديمة والحديثة أنّ المعاني اللّغوية لمادة حذف تدور في محور القطع، والطرح، والتسوية، والإسقاط؛ فالحذف في العربية يعني التخلّص من الحشو والزوائد التي تجعل الكلام ثقيلا وركيكا على اللّسان؛ لذلك اتّجه العرب إلى الحذف من أجل التخفيف والحفاظ على جمال ورونق اللّغة.

يقابل مصطلح الحذف في المعجم الأجنبي لفظة (ellipsis) التي تترجم بالحذف،[6]والإضمار،[7] كما تستخدم كلمة(gap) التي تعني (الثغرة) كمرادف لهذا المصطلح. وأشار الدكتور محمد عناني في معجمه إلى ما يسـمّى: "درجة الصـفر في الكتابة" وتعني نوعا من الكتابة التي تنحو إلى التحرّر من كل القيود الأدبية، وتكتفي باسـتعمال اللّغة الأسـاسـيّة البسـيطة فقط، وتعود جذورها إلى أفكار الرومانسـيين الإنجليز الذين أرادوا التحرّر من كلّ قيود الأدب الكلاسـيكي أو الأدب الرسـمي على مر التاريخ. هذا وقد استخدم البنيويون هذا المصطلح ليدلّوا به على حذف بعض المعلومات في السياق السـردي؛ فهناك فجوات يتعذّر تحديد مكانها، ويطلق عليها اسـم الفجوة الافتراضـيّة التي نعرف بوجودها من خلال الاسترجاع.[8]

ب-اصطلاحا:أشار الباحثان هاليداي ورقيّة حسن إلى أنّ الحذف هو علاقة تتم داخل النص، ففي معظم الأمثلة يتواجد العنصر المفترض في النص السابق.[9]وهذا ما ذهب إليه الدكتور نعمان بوقرة بقوله:«ويتحدّد الحذف بأنّه علاقة تتم داخل النص فمعظم أمثلته تبيّن أنّ العنصر المحذوف موجود في النص السابق مما يعني أنّ الحذف ينشأ علاقة قبليّة».[10]

وينشـــأ عن الحذف حدوث فراغ بنيوي في الجملة الثانية، وملؤه يعتمد على ما ورد في الجملة السـابقة أو النص السـابق. والمعنى المقصـود هو الذي يحكم طبيعة الحذف، ومدى وضـوح الدلالة المقصـودة من النص بعد الحذف، ووجود المؤشـرات السـابقة للمحذوف. والحذف على مسـتوى جملة واحدة لا يحقق التماسك بل على مستوى أكثر من جملة.[11]

أما دافيد كريسـتال فقد أشـار في معجمه إلى أنّ مصـطلح (ellipsis) يعني حذف جزء من الجملة، وهذا الحذف يقع في الجملة الثانية، ويدلّ عليه دليل في الجملة الأولى[12]، مثل:

س:أين شاهدت الفيلم؟ ج: في السينما.

هناك محذوف في الجملة الثانية وهو: شاهدته.

نلاحظ أنّ كريسـتال هو الآخر يعدّ الحذف علاقة قبلية، وقد نوّه في تعريفه إلى ضـرورة وجود دليل على المحذوف؛ لأنّ غياب الدليل سـوف يؤدي إلى اختلال المعنى، فالحذف لا يتم «إلّا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى. وقد يحـذف أحـد العناصر؛ لأنّ هناك قرائن معنوية أو مقاليّة تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره».[13]

ما نستنتجه من هذا القول هو«أنّ المحذوف من الكلام، لو بقي فإنّه يشكّل خللا على مستوى النص؛ يتمثّل في حشـو وزيادات لا طائل من ورائها، خاصّـة إذا وجد في النص أو في محيطه مـن القرائن الحالية والمقالية وما يغني عنها».[14]

أمّا فاسـولد ولينتون فيعدّان الحذف تغييرا دلاليا؛ حيث يتطلّب منّا العنصـر المحذوف النظر في كلّ العبارة من أجل اسـتجلائه، فهو مرتبط من ناحية المعنى بالعبارة التي يرد فيها،[15]والمتلقّي في طريق بحثه عن العنصر المحذوف يحاول أن يتلمّس المعاني التأويليّة الصحيحة للنص، معتمدا على السـياق اللغوي والسـياق الموقفي«ووجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النص والموقف مثال آخر من أمثلة الاطّراد في الاستعمال».[16]

إنّ الحذف يعدّ في الدرس اللساني النصّي اعتدادا بالمعنى العدمي وهو ما يطلق عليه: المورفيم الصـفري "zero morpheme" فالبنيات السـطحية في النصـوص غير مكتملة بعكس ما قد تبدو لمسـتعمل اللّغة العادي ففي قوله تعالى: ﴿ شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران/18) فلا مفر من فهم:(وشـهد الملائكة وشـهد أولو العلم) بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى:﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى».[17]

2-أقسـام الحذف:لا تخرج التقسـيمات التي قدّمها المحدثون لأنماط الحذف كثيرا عن التقسـيمات التي قدّمها العلماء القدامى، «فنجد أنّها تبدأ من حذف الحركة أو الصـوت ثم الحرف ثم الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من جملة. والكلمة قد تكون اسما وقد تكون فعلا مفردا».[18]

ويقسّم الباحثان "هاليداي ورقية حسن" الحذف إلى ثلاثة أقسام:[19]

أ-الحذف الاسمي: وهو حذف يحصل داخل المركب الاسمي، مثل:

(س: أيّ قلم تريد؟ ج: هذا هو الأحسن).

من الواضح أنّ القلم حُذِف في الجواب (هذا القلم هو الأحسن)، وقد ذهب الباحثان إلى أنّ الحذف الاسمي لا يقع إلّا في الأسماء المشتركة (Common Nouns).

ب-الحذف الفعلي: وهو حذف يحصل داخل المركب الفعلي، مثل:

(س: هل ذهبت إلى المتجر؟ ج: نعم فعلت).

ج-الحذف داخل شبه الجملة، مثل:

(س: كم سعره؟ ج: أربعة دنانير). نلاحظ حذف شبه الجملة في جواب السؤال(سعره أربعة دنانير).

وقد عقد الباحثان مقارنات كثيرة بين الحذف الاسمي والحذف الفعلي، وذهبا إلى أنّ أكثر الأنماط التي يتحقق فيها الحذف تحصل في الجمل الاستفهاميّة؛ حيث يتم تقدير العنصر المحذوف في جواب الاستفهام من خلال العنصر المفترض في جمة الاستفهام.[20]

3-أهميّة الدليل في الحذف :فالحذف الممتنع هو الحذف الذي لا تتوفر في الشروط اللازمة المتمثّلة في وجود القرينة الدالة على العنصر المحذوف، ومتى غاب الدليل امتنع الحذف، أمّا الحذف الجائز فهو الذي تتوفّر فيه القرينة الدالة، فيما ينحصر الحذف الواجب في الصيغ التي ليس لها استخدام فعلي في اللّغة.[21]

وليست ظاهرة الحذف حكرا على لغة دون أخرى، بل هي ظاهرة مشتركة بين جميع اللغات الإنسانية؛ لذا يتّفق العلماء القدامى والمحدثون على ضرورة وجود الدليل الذي يقودنا إلى معرفة العنصر المحذوف.[22]

سبق وأشرنا إلى أنّ علماء النص ينوّهون بأهمية الدليل، وهذا ما نستنتجه من كلام هاليداي ورقية حسن في حديثهما عن العنصر المفترض الذي يدلّنا على العنصر المحذوف، وفي كلام كريستال الذي يؤكّد على ضرورة وجود دليل في الجملة الأولى، والذي يحيلنا لمعرفة العنصر المحذوف في الجملة الثانية.

فالدليل يكتسي أهمية كبيرة للتدليل على وجود المحذوف، سواء أكان مقاليا أو مقاميا، وما يهمّنا هو وجود الدليل على مستوى أكثر من جملة؛ فإن كان المحذوف في جملة، والدال عليه مذكور في جملة أخرى، سواء كانت في النص نفسه أم في نص آخر، شريطة أن يكون قائل النص واحدا، فإنّ هذا يسهم في تحقيق التماسك بين هاتين الجملتين أو هذه المجموعة من الجمل، خاصّة إذا كان المحذوف من جنس لفظ المذكور، أو مرادفا له، أو متقابلا معه.[23]

4-علاقة الحذف بالاستبدال والمرجعيّة:

أ-علاقة الحذف بالاستبدال:

الحذف بوصفه علاقة اتّساق لا يختلف عن الاستبدال إلّا بكون الأول «استبدالا بالصفر، بمعنى أنّ علاقة الاستبدال تترك أثرا في النص، وأنّ العنصر البديل يبقى مؤشّرا يهتدي به المتلقي في البحث عن العنصر المستبدل، في حين يختلف الأمر مع الحذف فلا يحلّ محل المحذوف أي شيء مما يترك في الجملة الثانية فراغا في البنية يهتدي المتلقي إلى ملئه بالعودة إلى ما ورد في الجملة السابقة، مثل: يأكل المسكين خبزا(...) ورفيقه ثريدا».[24]

يتبيّن من خلال هذا أنّ الاستبدال يترك أثرا يهتدي القارئ عن طريقه إلى العنصر المستبدل وهو كلمة من الكلمات، في حين أنّ الحذف لا أثر له إلّا الدلالة، فلا يحل شيء محل المحذوف.[25]وإعادة كتابة المثال السابق تكون على الشكل الآتي:

يأكل	المسكين	خبزا	و(...)	رفيقه	ثريدا
1	2	3	1	2	3

فالمكان الخالي الذي بين قوسين في الجملة الثانية_حسب هاليداي ورقية حسن_ يعدّ "صفرا"، بحكم أنّه خال من الكلام تماما، والاستبدال هنا واقع بين (يأكل) في الجملة الأولى وبين الصفر في الجملة الثانية، وهذا ما يخلق العلاقة التماسكيّة بين الجملة الأولى والجملة الثانية.

ويرى الدكتور صبحي الفقي أنّ الأمثلة التي تسير على هذه الشاكلة-مثل المثال الذي ذكرناه-لا تقابل البدل في الدرس العربي، بل يراه نوعا من التكرار للفظ الفعل، خاصة إذا أعدنا المحذوف في الجملة، وبالتالي فإنّ التكرار هو ما أسهم في تحقيق التماسك والترابط بين الجملتين.[26]

ومنه فليس للحذف على هذا المستوى أيّ دور في تحقيق عمليّة الاتّساق؛ ذلك أنّ العلاقة بين الجملتين لا تعدو كونها علاقة بنيوية، لا يقوم الحذف فيها بأي دور اتّساقي، وبالتالي فإنّ وظيفة الحذف في اتّساق النص تتجلّى في العلاقة التي تربط بين مجموعة من الجمل، وليس داخل الجملة المفردة.[27]وبناء على مفهوم الجملة والنص فالحذف نوعان:

1-حذف جملة: وهو الحذف الذي ينحصر مداه الدلالي أو ارتباطه المرجعي في حدود الجملة نحو قوله تعالى:﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/18)، والتقدير: صبري صبر جميل؛ فالأثر الدلالي في هذا المثال محصور في حدود الجملة الواحدة، ويبرز هذا على وجه الخصوص في الجمل التي يمكن أن تغادر نصّها، ولا يسهم هذا النوع من الحذف في اتّساق النص.

2-حذف نصّي: وهو الحذف الذي يتجاوز أثره الدلالي أو ارتباطه المعجمي حدود الجملة المفردة، ويعمل هذا النوع على الربط بين أجزاء النص، ويتمتّع المتلقي فيه بفسحة من الحراك أو التأويل مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف/54)، فقد عطفت الفاء في (فلمّا) على جملة حذث سبق وصول يوسف عليه السلام إلى الملك، وهي من مجريات القصّة التي يقدّرها المتلقّي وتم حذفها؛ لأنّ فهمها يتأتّى من

السياق. ويقوم الحذف النصّي بمهمة الربط بين النص والمقام وهذا الدور يأتي، من فهم السياق وتأويل المتلقّي.[28]

وذهب الدكتور صبحي إبراهيم الفقي إلى أنّ العلاقة بين الحذف والإبدال هي في الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار، وأنّ المقصود هو تقدير المحذوف في الجمل لوجود دليل يشير إليه، ومن هنا فالإبدال الذي قصده الباحثان هاليداي ورقية حسن، لا يماثل الإبدال التابع في النحو العربي.[29]

ب-علاقة الحذف بالمرجعيّة: العلاقة بين الحذف والمرجعية علاقة شديدة الوضوح، وهي من الجوانب التي تؤكد أهمية الحذف في تحقيق التماسك النصي، نظرا لتوفر دليل أو قرينة مصاحبة تسهم في تقدير المحذوف. وأغلب الأمثلة تشير إلى أنّ مرجعية الحذف تكون إلى عنصر سابق، وقد تكون مرجعية الحذف إلى خارج النص، وليس لهذه الأخيرة دور في تحقيق التماسك؛ لأنّ أكثر المواضع التي ترد فيها تكون على مستوى الجملة الواحدة، وليس للجملة الواحدة مذكور يدل على المحذوف في أغلب الحالات، كي يمكن لاحقا أن يتماسك العنصر المحذوف مع ما يدل عليه في الجملة، ومن ثم فالمرجعية الخارجية تدور غالبا في مستوى الجملة الواحدة، ولا يتحقق من خلالها التماسك. وأغلب الأمثلة التي تتجسّد فيها أهميّة المرجعيّة في تحقيق التماسك من خلال الحذف تظهر في الجمل الاستفهاميّة بين الاستفهام وجوابه.[30]

كما سبق وذكرنا فإنّ أغلب الأمثلة تشير إلى أنّ الحذف علاقة قبلية يعود فيها المتلقي إلى الخلف من أجل أن يبحث عن العنصر المفترض الذي يقوده إلى معرفة العنصر المحذوف في الجملة الثانية، وفي هذا إحالة إلى السابق، مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ (النحل/30)؛ أي: "قالوا أنزل ربّنا خيرا"، وفي هذا مرجعيّة قبليّة بين العنصر المحذوف في الجملة الثانية "أنزل ربّنا"، وبين المذكور في الجملة الأولى"أنزل ربّكم".

هذا وقد تكون مرجعيّة الحذف بعديّة؛ حيث يتأخّر فيها الدليل عن العنصر المحذوف، وهذا قليل، مثل قول قيس بن الخطيم:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[31]

«أراد:نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض».[32]

في هذا المثال مرجعية بعدية بين العنصر المحذوف في الجملة الأولى (راضون) وبين العنصر المذكور في الجملة الثانية (راضٍ).

وعليه فمرجعية الحذف قد تكون داخلية سابقة أو لاحقة أو متبادلة، وغالبا ما تكون على مستوى أكثر من جملة، وفي هذه الحالة تحقّق التماسك النصي، كما يمكن أن تكون خارجيّة، وذلك على مستوى الجملة الواحدة، وهنا نستعين بسياق الحال من أجل تفسير المحذوف، وفي هذه الحالة لا تسهم المرجعيّة في تحقيق التماسك النصي.[33]

وتتضّح من خلال ما سبق العلاقة البيّنة بين الحذف والاستبدال والمرجعيّة، وكل هذه الأدوات تسهم في تحقيق اتّساق النص، غير أنّ الدور الذي يلعبه الحذف يختلف من حيث الكيف عن الدور الذي تقوم به الإحالة والاستبدال، ولعلّ المظهر البارز الذي يميّز الحذف عن الإحالة والاستبدال هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص.(34)

5-دور الحذف في تماسك النص: يعدّ المحذوف كالمذكور خاصّة إذا توفّر الدليل الذي يقودنا إلى معرفة العنصر المحذوف، وقد نوّه العلماء القدامى والمحدثون على أهميّة الدليل، وإذا ما نظرنا في الجمل التي يقع فيها الحذف سوف يتبيّن لنا أنّ التماسك في تراكيب الحذف يقوم على محورين:

1-محور التكرار: بالمفردة نفسها أو بالمعنى أو كليهما، ويكون المحذوف من جنس المذكور، أو أن يكون لفظا متعلقا به أو مرادفا له.

2-محور المرجعيّة: وتكون العلاقة بين الحذف والمرجعيّة؛ إذ إنّ الحذف يمثّل علاقة مرجعيّة داخلية (نصيّة) سابقة أو لاحقة، وقد تكون مرجعيّة الحذف خارجيّة (غير نصيّة) تستند إلى سياق الحال الذي يمدّنا بالمعلومات التي تسهم في تقدير المحذوف؛ لذا يرى الباحثون في ميدان علم النص أنّ الحذف ذو المرجعيّة الخارجيّة (غير نصيّة) لا يحقّق التماسك.(35)

وعن طريق إرجاع المحذوف تتحقّق الإحالة الداخليّة إلى سابق أو لاحق، ويظهر التكرار، ويظهر التماسك على مستوى أكثر من جملة، وتظهر أهميّة الدليل المذكور، وعن طريق هذا الدليل يستطيع المتلّقي أو القارئ ملء الفراغ في النص.

وظائف الحذف: يقوم الحذف بوظيفة هامة في تحقيق التماسك النصي، ويظهر هذا جليّا في الأثر الذي يتركه في النصوص من خلال مجموعة من الوظائف، نلخّصها فيما يأتي:(36)

1-التماسك المنطقي للتراكيب، فالحذف يأتي لجعل النص متماسكا متلاحما منطقيّا حتى تبقى البنى النصيّة متدفّقة متواصلة.

2-تثبيت السياق ودعمه، فالسياق هو عبارة عن حضور علائقي بين الألفاظ والجمل ومعانيها، واستمرار الحضور يعني استمرار العلاقات، وسقوط السياق يعني سقوط العلاقات ويكون مسبّب ذلك ضعف الحضور وانقطاع العلاقات. ومن هنا يأتي دور الحذف النصي الذي يمنح المتلقّي الدور في التقدير بناء على ما يوفّره السياق من دلالات، من أجل إيجاد الاستمراريّة النصيّة.

3-التخلّص من الحشو؛ فاللغة العربية تسعى للإيجاز عند أمن اللبس ومن ذلك يأتي دور الحذف في التخلص من حشو الكلام المعلوم أو المفهوم من السياق، ويكثر الحذف في العربية في المواضع التي تكون فيها الجمل طويلة كجملة الصلة وأسلوب الشرط وأسلوب القسم، مثل قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ (يوسف/ 7)، فالقسم محذوف.

4-إبراز دور المتلقّي، فهو يحثّه على القيام بمجموعة من العمليّات الذهنيّة التي تعمل على بعث الخيال، وتنشيط الإيحاء فيرتبط التعدّد في دلالة النص بتعدّد المتلقّين وثقافاتهم ومعارفهم بأعراف

اللّغة، كما يسهم في مساعدة المتلقي على الاحتفاظ بالعناصر المحذوفة في الذاكرة، أثناء عملية القراءة، مما ينتج عنه استمرارية في التلقّي وفي الربط المفهومي من خلال تعليق الكلام اللاحق بالسابق.[37]

6-**مهمّة المتلقّي:** يقوم المتلقّي بوظيفة هامّة في عمليّة التكلّم التي تتشكّل من ثلاثية المتكلّم والكلام والمتلقي.والنص عامة، والنص القرآني على وجه الخصوص موجّه إلى المتلقّي من أجل أن يتدبّر فيه ويعمل فيه عقله ومشاعره، ولا شكّ أنّ النص يكتسب كينونته ووجوده من خلال المتلقي، فهو الذي تقع على عاتقه مهمة فهم النص وفك شفراته، واستخراج ما فيه، ويختلف المتلقّون في ثقافتهم واستعداداتهم وقدراتهم وآفاقهم ومن هنا تختلف قدرة كلّ متلقي عن الآخر في فهم النص وإدراك سياقاته، وقدرات المتلقي هي التي تساعده في فهم النص واستخراج ما فيه من مبادئ وجماليات، وتتيح له إمكانية ملء الفراغات الموجودة والكامنة بين عناصر النص، وخاصة ما يتصل بحذف العديد من العناصر في النص، وهنا يبرز دور المتلقي.[38]

سعت العديد النظريات إلى توطيد العلاقة بين المتلقي وبين ذوقه الجمالي، وقديما بنى أفلاطون نظريته حول المسرح على قاعدة أساسها جعل النص المسرحي منوطا وملتزما بقدرات المتلقين وثقافاتهم ورؤاهم، ولا يتم هذا -حسب ما ذهب أفلاطون-إلاّ عن طريق تراسل المشاعر بين النص وجمهوره، ومن ثم كان للمتلقي دور الحكم على النص وصاحبه.[39]

إنّ متلقي النص ليس كائنا سلبيا تلقى على ذهنه النصوص فيتقبّلها ويستجيب لها دون وعي منه وإدراك لما تحمله من مقاصد[40]، بل هو عضو فاعل ومشارك، وقد بيّن رولان بارت الوظيفة الهامة التي يقوم بها قارئ النص؛ حيث قدّم في كتابه "من العمل إلى النص" نظرية مركّزة وفق منظور تفكيكي بالدرجة الأولى، فعدّ النص نشاطا وإنتاجا، وقوّة متحرّكة تتجاوز وتقفز فوق جميع الأجناس، والنص مفتوح ينتجه المتلقي في عمليّة مشاركة وليس مجرد عمليّة استهلاك، وهذه المشاركة تفرض صلة وثيقة بين بنية النص وتلقّيه وإدماجهما في عملية دلاليّة واحدة.[41]

بظهور نظرية التلقي في ثلاثينات القرن الماضي احتلّت وظيفة المتلقي مكانة عالية عند العلماء المحدثين، ولم تعد سيرورة عملية التكلّم والتلقي في اتّجاه واحد منطقية، بل أصبحت السّمة الغالبة هي مشاركة الأطراف الثلاثة الممثّلة في: المتكلّم، النص، المتلقّي هي السّمة الغالبة، وفي هذا الخطاب الديالكتيكي أصبح القارئ هو من يحكم على النص ويستخرج معناه ويتفاعل معه ويحكم على مدى تماسكه وترابطه، كما يسهم في إكمال النص وملء فراغاته.[42]

وفي الدرس اللّساني النصي يبرز دور المتلقي في عملية التحليل النصي لأداة الحذف من خلال سعيه إلى معرفة مواطن الحذف واكتشافها، وكيفية ملء الفراغات، وكيفية أداء هذا الحذف لوظائفه. والمحذوف في النص يقدّر استنادا إلى البنية الدلالية في التعامل مع النص، ولا يمكن تقديره بحسب ما هو ظاهر من لغة النص؛ إذ ينبغي على القارئ ملء الفراغات الناتجة من الحذف

بوعي من خلال الآليات والضوابط والأحكام المتعارف عليها قديما وحديثا، منها أن يراعي السياق في أثناء هذه العملية، وأن يستعين بالأدلة الموجودة في البنية الظاهرية السطحيّة التي سوف تقوده إلى مكان الحذف وتعينه على تقدير المحذوف.(43)

ويحقق الحذف الترابط النصي من خلال البحث عمّا يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب،وبذلك يقوم المتلقي بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما بقي من خطاب(44)، مثل قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام/ 22) وهنا وقع حذف مفعولي زعم، والأصل "تزعمونهم شركاء".

ولا بد من أن يمتلك القارئ أدوات القراءة؛ لذا اشترط علماء القرآن على من يتصدى لنصوص القرآن أن يمتلك أدوات القراءة وأن يكون مؤهلا لها، «وهذا يدفعنا إلى القول بأهمية قراءة تفسير علمائنا-علماء التفسير-الذين تناولوا كتاب الله بالدلالة والتفسير بعد قراءة متأنية، لأن هذا يعد مرشدا لمحلّل النص القرآني للاهتداء إلى المواضع التي يمكن أن تملأ فراغاتها، وتستكمل العناصر المحذوفة فيها. هذا إضافة إلى السياق المقامي والمقالي الذي يمثل مادة ثرية تمكننا من ملاحظة هذه العناصر، ومن ثم نهتدي إلى كيفية أدائها لمهمة التماسك النصي».(45)

خلاصة: الحذف يعد واحدا من الأدوات التي تسهم في تماسك أواصر النص، يوظّفها المخاطِب والكاتب في نصّه لتساعده على تكثيف الدلالات مع توخي قلّة الكلمات والعبارات، وهو يصبغ النص بصبغة جمالية ويخلّصه من الحشو والزوائد، ويقوم المتلقي بوظيفة هامة من خلال البحث عن العناصر المحذوفة مستنبطا إياها من السياق؛ إذ يبعث الحذف في نفسه حافز البحث والتنقيب عن الحلقات المفقودة من أجل أن يربطها بسلسلة النص، حتى يتأتى له فهمه واستيعابه على أكمل وجه.

الهوامش :

(1)-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي بين النظريّة والتطبيق، دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1431،1هـ-2000م، 191/2.

(2)-ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د.ط)، 1998 م، ص:9.

(3)-ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الأفريقي ت 711ه) لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، 810/10-811. مادة (حذف).

(4)-الخليل الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي اليحمدي ت 170 ه)، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، (د.ط)، (د.ت)، 201/3-202. مادة (حذف).

(5)-مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4، 1425هـ-2004م، ص:192.

(6)- Vois : N. S. Doniach, The Oxford English-Arabic Dictionary, Oxford University Press, London, p. 377.

(7)- Vois : F. S. Alwan, G. L. Simon et M. Said, Le Dictionnaire Francais-Arabe, F. S. Alwan, G. L. Simon et M. Said, Dar AL-kotob AL-ilmiyah, Beirut-Lebanon, 2 éme Edition, 2004, p.306. ينظر:

(5)-ينظر: محمّد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، ط3، 2003، ص:252-253.

([9])-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،19911م، ص:21.

(10)-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص: 106-107.

(11)-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص:21-22.

(12)- Vois : David Crystal, A Dictionary of Linguistics And Phonetics, Blackwell Publishing, Malden-USA, Sixth Edition, 2008, p.166.

(13)-محمد حماسة عبد اللّطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م، ص:259.

(14)-محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجال تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م، ص:93.

([15])-Vois : Ralph W. Fasold And Jeff Connor-Linton, An Introduction to language And Linguistics, Cambridge University Press, London, p. 501.

(16)-روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م، ص:345.

([17])-المرجع نفسه، ص: 34.

([18])- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصّي، 193/2.

([19])-ينظر: محمد خطابي، لسانيّات النصّ، ص: 22.

([20])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصّي، 194/2.

(21)-ينظر: زاهر بن مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1431هـ-2010 م، ص: 107.

([22])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 207/2.

([23])-ينظر: المرجع نفسه، 208/2.

(24)-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص: 106-107.

)-ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، اتّجاه جديد في الدرس النّحوي، مكتبة زهراء الشروق، القاهرة، 25(ط1،2001 م، ص: 126.

([26])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 199/2.

([27]) –ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 22.

(28)-ينظر: محمود سليمان حسين الهواوشة، أثر عناصر الاتّساق في تماسك النص، دراسة نصيّة من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2008، ص: 99.

([29])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، 201/2.

([30])-ينظر: المرجع نفسه، 201/2-202.

([31])-قيس بن الخطيم (أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي ت 2 ق.هـ)، الديوان، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص: 115.

(32)-المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ت 286 هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م، 73/4

([33])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 203/2.

([34])-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 22.

(35)-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 221/2.

(36)-ينظر: عبد المهدي هاشم حسين الجراح، الخطاب وأثره في بناء النص، تطبيق على المعلّقات السبع، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، الأردن، 2002، ص: 103.

([37])-ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللّغوي، ص: 130.

([38])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 213/2.

39)-ينظر: محمود عباس عبد الواحد، قراءة النصّ وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا (النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1417هـ-1996م، ص: 93.

(40)-ينظر: محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م، ص: 37.

([41])-ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص: 99-100.

([42])-ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 214/2-216.

(43)-ينظر: خليل البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللّساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1430هـ-2009م.: 193-194.

(44)-ينظر: المرجع نفسه، ص: 71.

([45])-صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 216/2.